اتساع أبواب الخير
في
الرسالة المحمدية

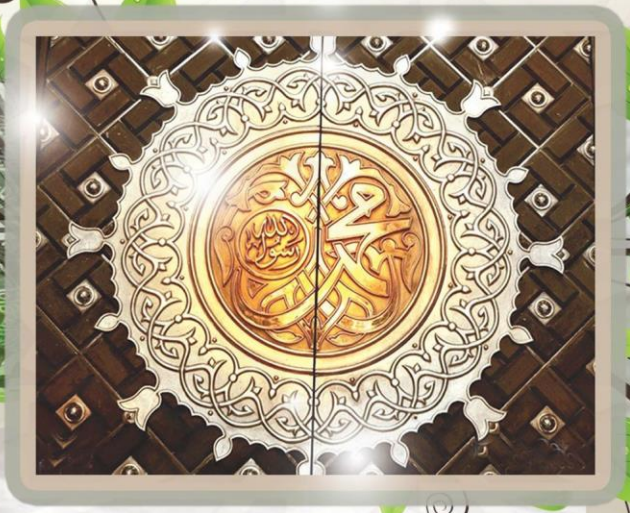

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

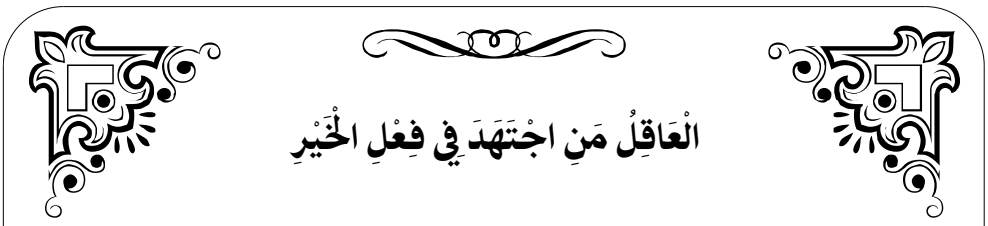

الْعَاقِلُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ

«فَالْعَاقِلُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي حَيَاتِهِ أَلَّا يَمُوتَ ذِكْرُهُ وَلَا عِلْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي سَبَبِ بَقَائِهِ وَوُصُولِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِفِعْلِ الْخَيْرِ؛ مِنْ بِنَاءِ الْقَنَاطِرِ وَالْوُقُوفِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ الْأَوْلَادِ وَالْأَصْدِقَاءِ الْمُسْتَغْفِرِينَ لَهُ، وَتَصْنِيفِ كُتُبِ الْعِلْمِ، وَتَحْقِيقِ التَّقْوَىٰ.

وَقَدْ سُمِعَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يَقُولُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ: «كُلُّهُمْ لَهُ حَاجَةٌ، وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَذْكُرَنِي إِذَا نَسِيَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا!!»(١).

فَيَا للهِ! أَحْضِرْ قَلْبَكَ وَاقْبَلْ نُصْحِي، وَلَا تُنْفِقْ عُمُرَكَ بَاطِلًا فِي حُبِّ وَلَدٍ إِنْ لَمْ يَتَمَنَّ مَوْتَكَ لَمْ تُبَالِ بِهِ، أَوْ زَوْجَةٍ إِنْ لَمْ تَنْسَ فَقْدَكَ أَسْرَعَتِ التَّعَوُّضَ، أَوْ صَدِيقٍ يُدَاخِلُكَ لِمَا يَرْجُو مِنْكَ، فَإِذَا غِبْتَ عَنْهُ نَسِيَكَ!!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٧٢) وغيرهما مطولا ومختصرا بلفظ: «عن ابْن عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا، بِعَرَفَةَ يَقُولُ: عَجَّتِ الْأَصْوَاتُ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفاتٍ يَسْأَلُونَكَ الْحَاجَاتِ وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَذْكُرَنِي عِنْدَ الْبِلَىٰ إِذَا نَسِيَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا».

فَبِاللهِ عَلَيْكَ! لَا تَجْمَعْ لَهُمْ بِتَفْرِيقِ دِينِكَ، وَلَا تُشْغَلْ بِهِمْ عَنْكَ، وَاقْبَلْ مِنِّي، وَلَازِمْ مَنْ تَجِبُ مُلَازَمَتُهُ؛ فَقَدْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ: أَنَا بُدُّكَ اللَّازِمُ فَالْزَمْ بُدَّكَ.

لَازِمْ طَاعَتَهُ، وَتَوَفَّرْ عَلَىٰ مَرَاضِيهِ، انْظُرْ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ فَأَقْبِلْ عَلَيْهَا، وَلَا تَظُنَّنَّ أَنِّي آمُرُكَ بِمُلَازَمَةِ الْمِحْرَابِ فَقَطْ، وَرُبَّمَا كَانَ السَّعْيُ عَلَىٰ الْوَالِدَيْنِ وَالْوَلَدِ أَوْلَىٰ، وَتَلَمَّحْ غَايَةَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْرِفُ طَرِيقًا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَالِمَ نَفْسَهُ، وَيَدُلُّ الْمُرِيدِينَ الطَّالِبِينَ، وَالدَّلَالَةُ عَلَيْهِ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهَا طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَإِذَا اشْتَغَلْتَ بِالْعِلْمِ عَرَّفَكَ مَا يُعْرَفُ وَمَا يَجِبُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقِفَ مَعَ صُورَةِ الْعِلْمِ، بَلْ تَلَمَّحِ الْمُرَادَ مِنْهُ، فَإِنْ رَزَقَكَ حَلَاوَةَ الْعِلْمِ أَوْ ذُقْتَ مَعْنَاهُ؛ أَخَذَكَ عَنْكَ وَسَلَبَكَ مِنْكَ، وَأَقَامَكَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِيكِكَ، فَبِهِ تَسْمَعُ وَبِهِ تُبْصِرُ، فَيَا طُوبَىٰ لَكَ إِنْ نِلْتَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ؛ فَإِنَّ مَا دُونَهَا خُسْرَانٌ». (*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «الْمُنْتَقَىٰ مِنْ صَيْدِ الْخَاطِرِ» (الْمُحَاضَرَة ٤٢)، الْخَمِيسُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٢هـ| ٢٠-٨-٢٠٢٠م.

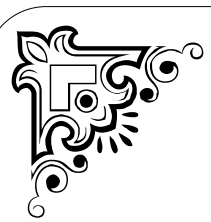

اتِّسَاعُ أَبْوَابِ الْخَيْرِ فِي الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَجِدُهَا حَافِلَةً بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ؛ أَقْوَالًا وَأَفْعَالًا وَسُلُوكِيَّاتٍ، فَحَيَاةُ الْمُسْلِمِ كُلُّهَا عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ وَأَجْرٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

«يَأْمُرُ -تَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ وَيُعْلِنَ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْهِدَايَةِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الدِّينُ الْمُعْتَدِلُ الْمُتَضَمِّنُ لِلْعَقَائِدِ النَّافِعَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْأَمْرِ بِكُلِّ حَسَنٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ، الَّذِي عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ؛ خُصُوصًا إِمَامَ الْحُنَفَاءِ وَوَالِدَ مَنْ بُعِثَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهُوَ الدِّينُ الْحَنِيفُ الْمَائِلُ عَنْ كُلِّ دِينٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ، مِنْ أَدْيَانِ أَهْلِ الِانْحِرَافِ؛ كَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمُشْرِكِينَ، وَهَذَا عُمُومٌ.

ثُمَّ خَصَّصَ مِنْ ذَلِكَ أَشْرَفَ الْعِبَادَاتِ، فَقَالَ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**﴾؛ أَيْ: ذَبْحِي؛ وَذَلِكَ لِشَرَفِ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ وَفَضْلِهِمَا، وَدَلَالَتِهِمَا عَلَىٰ

مَحَبَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَبِالذَّبْحِ الَّذِي هُوَ بَذْلُ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ لِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا، وَهُوَ اللهُ -تَعَالَىٰ-.

وَمَنْ أَخْلَصَ فِي صِلَاتِهِ وَنُسُكِهِ؛ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ إِخْلَاصَهُ لِلَّهِ فِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أَيْ: مَا آتِيهِ فِي حَيَاتِي، وَمَا يُجْرِيهِ اللهُ عَلَيَّ، وَمَا يُقَدِّرُ عَلَيَّ فِي مَمَاتِي، الْجَمِيعُ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ فِي الْعِبَادَةِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلَيْسَ هَذَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ ابْتِدَاعًا مِنِّي وَبِدْعًا أَتَيْتُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، بَلْ ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أَمْرًا حَتْمًا، لَا أَخْرُجُ مِنَ التَّبِعَةِ إِلَّا بِامْتِثَالِهِ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(١).

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ عَامَّةً، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

«أَمَرَ -تَعَالَىٰ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ، وَخَصَّ مِنْهَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؛ لِفَضْلِهِمَا وَرُكْنِيَّتِهِمَا، وَعِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَسَلْوَةُ الْقَلْبِ الْمَحْزُونِ، وَأَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ وَإِحْسَانَهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ يَقْتَضِي مِنْهُمْ أَنْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَيَأْمُرَهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرِ عُمُومًا.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٨٢).

وَعَلَّقَ -تَعَالَىٰ- الْفَلَاحَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أَيْ: تَفُوزُونَ بِالْمَطْلُوبِ الْمَرْغُوبِ، وَتَنْجَوْنَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الْمَرْهُوبِ، فَلَا طَرِيقَ لِلْفَلَاحِ سِوَىٰ الْإِخْلَاصِ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَالسَّعْيِ فِي نَفْعِ عَبِيدِهِ، فَمَنْ وُفِّقَ لِذَلِكَ فَلَهُ الْقِدْحُ الْمُعَلَّىٰ مِنَ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ»(١).

إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَكُلٌّ يَنْهَلُ مِمَّا شَاءَ، وَيَدْخُلُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تَكُونُ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعَاتِ بَعِيدًا عَنْ عِلْمٍ وَمُرَاقَبَةِ الْقِيَادَةِ الْمُؤْمِنَةِ الْمُسْلِمَةِ؛ إِلَّا فِي نَجْوَىٰ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالصَّدَقَةِ لِذِي حَاجَةٍ مُتَعَفِّفٍ يَكْرَهُ أَنْ تُفْتَضَحَ حَاجَتُهُ؛ مُحَافَظَةً عَلَىٰ مَكَانَتِهِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ.

أَوْ مَجْلِسٍ تَكُونُ فِيهِ نَجْوَىٰ قَائِمَةٌ عَلَىٰ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ لِشَخْصٍ بِعَيْنِهِ أَوْ أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ؛ فَوَاجِبُ النَّصِيحَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ تَكُونَ سِرًّا لَا حَدِيثًا مُعْلَنًا، وَإِلَّا كَانَ فَضِيحَةً لَا نَصِيحَةً، وَرُبَّمَا جَرَّأَتْهُ الْفَضِيحَةُ عَلَىٰ التَّمَادِي فِي الْغَيِّ وَالْمُجَاهَرَةِ بِالْإِثْمِ مَعَ الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ.

أَوْ مَجْلِسٍ تَكُونُ فِيهِ نَجْوَىٰ قَائِمَةٌ عَلَىٰ مُحَاوَلَةِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ؛ لِيَتَرَاجَعَا إِلَىٰ مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٤٦).

وَمَنْ يَفْعَلْ تِلْكَ الْأُمُورَ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللهِ وَخَالِصَةً لِوَجْهِهِ؛ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ.(*).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ: التَّكْبِيرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَعْزِلُ الشَّوْكَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الْأَعْمَىٰ، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ حَتَّىٰ يَفْقَهَ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَىٰ حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَىٰ بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَىٰ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ، فَأَدْرَكَ وَرَجَوْتَ أَجْرَهُ فَمَاتَ؛ أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟ فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟! فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟! فَأَنْتَ كُنْتَ تَرْزُقُهُ؟! فَكَذَلِكَ فَضَعْهُ فِي حَلَالِهِ، وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ أَحْيَاهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ، وَلَكَ أَجْرٌ**»(٢). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النساء: ١١٤].

(٢) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٨٣، ٢١٤٨٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٩٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٣/ ٤٨٨) وغيرهم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٥).

«قوله: «منه علىٰ نفسه»: إشارة إلىٰ أن للصدقة حالتين، فقد تكون من الشخص إلىٰ غيره، وقد تكون منه إلىٰ نفسه، وتكون بالمال أحيانا، وبغيره أحيانا، فما في هذا الباب من القسم الثاني.

«التَّكْبِيرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ»: يعني أن كل نوع من هذا الذكر صدقة؛ لما في رواية مسلم: «وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل =

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ؛ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي -إِلَىٰ وَلِيمَةٍ وَنَحْوِهَا-، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ، وَالْمَيَاثِرِ** -وَهِيَ: جَمْعُ مِئْثَرَةٍ، وَهِيَ غِطَاءٌ كَانَتِ النِّسَاءُ يَضَعْنَهُ لِأَزْوَاجِهِنَّ عَلَىٰ السُّرُوجِ، وَكَانَ مِنْ مَرَاكِبِ الْعَجَمِ؛ فَنَهَىٰ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ-، **وَالدِّيبَاجِ** -وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحَرِيرِ-، **وَالْقَسِّيِّ** -وَهِيَ ثِيَابٌ مُضَلَّعَةٌ بِالْحَرِيرِ تُعْمَلُ بِالْقَسِّ؛ مَوْضِعٍ بِمِصْرَ-،

=

تهليلة صدقة» وتسميتها بالصدقة يحتمل أن لها أجرا كما للصدقة أجر، وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور، وسماها صدقة علىٰ طريق المقابلة وتجنيس الكلام. وقيل معناه أنها صدقة علىٰ نفسه.

«وَتَهْدِي الْأَعْمَىٰ»: أي تدله علىٰ الطريق إذا ضل عنه.

الأصم: هو الذي لا يسمع لعلة في أذنيه أبطلت سمعهما.

والأبكم: هو الأخرس، وقيل: الأخرس الذي خلق ولا نطق له. والأبكم. الذي له نطق ولا يعقل الجواب.

وقوله: «حتىٰ يفقه»: أي يعلم ما يريد وما يراد منه.

«وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَىٰ حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا»: أي كما إذا كان يسأل عن ضالة أو صاحب لا يعرف مكانه أو نحو ذلك فتدله.

«وَتَسْعَىٰ بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَىٰ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ»: أي كمن سطا عليه لصوص أو قطاع طريق أو عدو يريد قتله فتغيثه، بأن تسعىٰ إليه مسرعا بكل ما أعطاك الله من قوة، ولا تتوان في إغاثته». «الفتح الرباني» للساعاتي (٩/ ١٧٨).

وَالِاسْتَبْرَقِ -وَهُوَ مَا غَلُظَ مِنَ الدِّيبَاجِ-». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١)، وَفِيهِ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه **قَالَ**: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ!**».

فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٢). (*).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَىٰ نَهْرًا(٤)، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ**». رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»(٥)، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ. (*/٢).

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/ ١١٢، رقم ١٢٣٩)، ومسلم: (٣/ ١٦٣٥-١٦٣٦، رقم ٢٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري: (٣/ ٢١٩، رقم ١٣٥٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ».

(٤) (كرىٰ نهرا)؛ أي: حفرها.

(٥) أخرجه البزار في «**المسند**»: (١٣/ ٤٨٣، رقم ٧٢٨٩)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٣/ ٣٤٣ - ٣٤٤)، وأخرجه أيضا ابن أبي داود في «**المصاحف**»: (ص ٦٦٣، رقم ٨١٥)، وابن حبان في «**المجروحين**»: (٢/ ٢٤٧، ترجمة مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْعَرْزَمِيُّ)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٥/ ١٢٢ - ١٢٣، رقم ٣١٧٥).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١/ ٥٦٦، رقم ٩٥٩).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ.. كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٣- ٨- ٢٠١٢م.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ(١)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

السُّلَامَىٰ: جَمْعُهُ سُلَامَيَاتٌ، وَهِيَ الْمَفَاصِلُ وَالْأَعْضَاءُ، وَهِيَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٢) عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.

حَدِيثٌ فِي نَفْسِ الْمَعْنَىٰ أَوْ فِي الْمَعْنَىٰ نَفْسِهِ، وَفِيهِ مَزِيدُ فَائِدَةٍ؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**».

قَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «السُّلَامَىٰ فِي الْأَصْلِ: عَظْمٌ يَكُونُ فِي فِرْسِنِ الْبَعِيرِ، قَالَ: فَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: عَلَىٰ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ تَرْكِيبَ هَذِهِ الْعِظَامِ وَسَلَامَتَهَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، فَيَحْتَاجُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْهَا إِلَىٰ صَدَقَةٍ يَتَصَدَّقُ ابْنُ آدَمَ عَنْهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ شُكْرًا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ».

---

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٢٩٨٩)، وَمُسْلِمٌ (١٠٠٩).

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ (١٠٠٧) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) (١٠٠٦).

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»(١) وَفِي غَيْرِهَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟**».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قَالَ: «النَّعِيمُ: صِحَّةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، يَسْأَلُ اللهُ الْعِبَادَ فِيمَا اسْتَعْمَلُوهَا، وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ».

قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**»، يَعْنِي: أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ عَنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعِيشُ فِيهِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الشُّكْرَ بِهَذِهِ الصَّدَقَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ كُلَّ يَوْمٍ.

وَلَكِنَّ الشُّكْرَ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: وَاجِبٌ، وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَاجِبَاتِ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ الْمُحَرَّمَاتِ، فَهَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَيَكْفِي فِي شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ ذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ: «**فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيُّ (٣٣٥٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «سِلْسِلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» (٥٣٩).

(٢) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٦٠٢٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٠٨).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَكْفِيهِ أَلَّا يَفْعَلَ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُجْتَنِبًا لِلشَّرِّ إِذَا قَامَ بِالْفَرَائِضِ وَاجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ؛ فَإِنَّ أَعْظَمَ الشَّرِّ تَرْكُ الْفَرَائِضِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي».

وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الشُّكْرِ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ أَنْ تُصَرِّفَ الْأَعْضَاءَ وَالنِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهَا عَلَيْكَ.. أَنْ تُصَرِّفَهَا فِي مَرْضَاةِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهَا، فَإِذَا مَا صَرَّفْتَ الْجَوَارِحَ فِي الطَّاعَةِ فَهَذَا شُكْرٌ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ أَنْ تُقِرَّ لِلْمُنْعِمِ بِالْقَلْبِ بَاطِنًا، وَأَنْ تَلْهَجَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا، وَأَنْ تُصَرِّفَ النِّعَمَ فِي مَرْضَاةِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهَا.

فَإِذَا صَرَّفْتَ الْجَوَارِحَ فِي الطَّاعَاتِ فَقَدْ صَرَّفْتَهَا فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ هَذِهِ الْجَوَارِحَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ مُصَرَّفَةً فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَفِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ، لَا أَنْ تَكُونَ مُصَرَّفَةً فِي مَعَاصِيهِ، فَإِذَا صَرَّفَ الْعَبْدُ أَعْضَاءَهُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ؛ فَهَذَا شُكْرٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الشُّكْرِ: الشُّكْرُ الْمُسْتَحَبُّ؛ وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ بِنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهِيَ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الصَّلَاةِ وَيَقُومُ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!! فَيَقُولُ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»[1]؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

---

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٤٨٣٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٨١٩) مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه.

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنْهَا مَا نَفْعُهُ مُتَعَدٍّ؛ كَالْإِصْلَاحِ، وَإِعَانَةِ الرَّجُلِ عَلَىٰ دَابَّتِهِ يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا، وَكَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا السَّلَامُ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِزَالَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِعَانَةُ ذِي الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ، وَهِدَايَةُ الْأَعْمَىٰ أَوْ غَيْرِهِ الطَّرِيقَ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ: كَفُّ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟

قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَكَفُّ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ صَدَقَةٌ، كَفُّ الشَّرِّ عَنْهُمْ صَدَقَةٌ يَأْتِي بِهَا الْكَافُّ.

وَمِنَ الصَّدَقَاتِ: إِنْظَارُ الْمُعْسِرِ؛ فَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ**». الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

وَمِنْهَا: الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْبَهَائِمِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ سَقْيِهَا، فَقَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**». أَخْرَجَاهُ(٣).

---

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٢٥١٨)، وَمُسْلِمٌ (٨٤).

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وهُوَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَه (٢٤١٨)، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٤٣٨).

(٣) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٢٣٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٤).

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَغِيًّا سَقَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ، فَغَفَرَ اللهُ لَهَا، وَذَلِكَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا(١).

وَأَمَّا الصَّدَقَةُ الْقَاصِرَةُ عَلَىٰ نَفْسِ الْعَامِلِ بِهَا؛ فَمِثْلُ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْمَشْيُ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ لِانْتِظَارِ الصَّلَاةِ، أَوْ لِاسْتِمَاعِ الذِّكْرِ.

وَصَلَاةُ رَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ إِنَّمَا كَانَتَا مُجْزِئَتَيْنِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِأَنَّ فِي الصَّلَاةِ اسْتِعْمَالًا لِلْأَعْضَاءِ كُلِّهَا فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، فَتَكُونُ كَافِيَةً فِي شُكْرِ نِعْمَةِ سَلَامَةِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ.

وَبَقِيَّةُ هَذِهِ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ أَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالٌ لِبَعْضِ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ خَاصَّةً، فَلَا تَكْمُلُ الصَّدَقَةُ بِهَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ مِنْهَا بِعَدَدِ سُلَامَىٰ الْبَدَنِ، وَهِيَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّ الْمُرَادَ بِالسُّلَامَىٰ: الْمِفْصَلُ»؛ بِأَنَّ كُلَّ عُضْوٍ وَمِفْصَلٍ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٢) أَنَّ خَلْقَ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِنَّمَا كَانَ عَلَىٰ سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مِفْصَلٍ... الْحَدِيثَ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ

---

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥)، وَلَفْظُهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**».

(٢) (١٠٠٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ(١) رَحِمَهُ اللَّهُ- وَقَدْ مَرَّ-: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»؛ لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْأَمْرَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وُفِّقَ لِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ بِصَلَاةِ رَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِئُهُ: «**وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**».

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ فَضِيلَةَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ بِالْعَدْلِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَّ الْعَدْلَ بَيْنَهُمَا صَدَقَةً، وَقَدْ قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: ١٢٨].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ [الأنفال: ١].

وَالْإِصْلَاحُ يَكُونُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ بَذْلِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أُمُورًا يَغْفُلُ عَنْهَا أَكْثَرُنَا، مِنْ ذَلِكَ: إِعَانَةُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ دَابَّتِهِ؛ إِمَّا بِحَمْلِهِ عَلَيْهَا -إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ-، أَوْ بِرَفْعِ مَتَاعِهِ عَلَيْهَا؛ لِقَوْلِهِ: «**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ؛ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) في «صحيحه» (٧٢٠).

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَجِدُ غَضَاضَةً فِي أَنْ يَحْمِلَ لِغَيْرِهِ الْمَتَاعَ حَتَّىٰ يَجْعَلَهُ عَلَىٰ الدَّابَّةِ، عَلَىٰ السَّيَّارَةِ، أَوْ مَا جَرَىٰ مَجْرَاهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَيَعُدُّ ذَلِكَ إِزْرَاءً بِهِ، وَخَفْضًا لِقَدْرِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ لَا تَزِيدُ الْمُسْلِمَ إِلَّا عِزًّا.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَخْذِ بِذَلِكَ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ رُبَّمَا اسْتَطَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ وَأَنْ يَحْمِلَهَا عَلَىٰ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الطَّاعَاتِ يَأْنَفُ مِنْهَا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

كُلُّ كَلِمَةٍ تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ فَهِيَ صَدَقَةٌ، «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١)؛ فَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَكَذَلِكَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٢). الْحَدِيثَ.

وَكَذَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَإِقْرَاؤُهُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا جَمِيعًا.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٨٥ رقم (٢٨٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٦٩٩ رقم (١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ (٢٦٧٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: الْحَثُّ عَلَىٰ كَثْرَةِ الْخُطَىٰ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ -أَوْ خَطْوَةٍ، بِالضَّمِّ أَوْ بِالْفَتْحِ- صَدَقَةٌ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ كَثْرَةِ الْخُطَىٰ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**».

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَىٰ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**».

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ(٢) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ**».

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ.

قَالَ: «**بَنِي سَلِمَةَ! دِيَارَكُمْ؛ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ**».

وَ«**دِيَارَكُمْ**»: النَّصْبُ فِيهَا عَلَىٰ الْإِغْرَاءِ، أَيِ: الْزَمُوا دِيَارَكُمْ؛ لِأَنَّ آثَارَكُمْ تُكْتَبُ لَكُمْ، وَهَذِهِ الْآثَارُ هِيَ الْخُطَىٰ الَّتِي يَخْطُونَهَا مِنْ أَمَاكِنِهِمْ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ رَبِّ

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ (٢٥١).

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ (٦٦٥).

الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَبْقُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَأَلَّا يَنْتَقِلُوا إِلَىٰ قُرْبِ الْمَسْجِدِ؛ زِيَادَةً لِلْحَسَنَاتِ، وَبِمَا يُكْتَبُ لَهُمْ مِنْ آثَارِهِمْ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه -فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًىٰ فَأَبْعَدُهُمْ**»(١) الْحَدِيثَ.

«**إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ أَنَّهَا شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ.

وَالْمُرَادُ بِإِمَاطَةِ الْأَذَىٰ: إِزَالَتُهُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْأَذَىٰ هُوَ مَا يُؤْذِي الْمَارَّةَ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ شَوْكٍ، أَوْ زُجَاجٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ، فَكُلُّ هَذَا مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ، فَيُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ(٣) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَىٰ يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ**».

---

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٦٥١)، وَ مُسْلِمٌ (٦٦٢).

(٢) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٩)، وَمُسْلِمٌ (٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ (٥٥٣).

فَإِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَمِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ كَمَا فِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَلْتَفِتُ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَوْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْتَفَتُوا إِلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ؛ لَكَانَتْ طُرُقُهُمْ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ؛ بَلْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا طُرُقٌ كَطُرُقِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ يَشْكُونَ مِنَ الْقَذَارَةِ وَإِلْقَاءِ الْقَاذُورَاتِ فِي طُرُقِهِمْ وَشَوَارِعِهِمْ.

وَحَدِيثٌ وَاحِدٌ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ كَفِيلٌ لِإِزَالَةِ تِلْكَ الشَّكْوَىٰ.

وَأَيْضًا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْغَرْبِ وَإِلَىٰ الشَّرْقِ وَالدُّوَلِ الَّتِي يَقُولُونَ عَنْهَا «مُتَقَدِّمَةٌ»، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ رَجَعَ فَمَدَحَ شَوَارِعَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ دَلَّنَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَوْ أَخَذْنَا بِهِ مَا فَاقَنَا أَحَدٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَثَلًا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُ نَفْسَهُ، وَيَظْلِمُ دِينَهُ، وَيَظْلِمُ إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ.

الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ يَعُودُونَ يَمْدَحُونَ النَّظَافَةَ؛ فَأَيْنَ نَظَافَةُ أُولَئِكَ الْخَلْقِ؟!!

هُمْ نَظَّفُوا شَوَارِعَهُمْ، نَظَّفُوا بُيُوتَهُمْ ظَاهِرًا؛ لَكِنَّهُمْ قَذَّرُوهَا بِالشِّرْكِ كَمَا قَذَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَجْسَادَهُمْ، وَأَرْوَاحَهُمْ.

فِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِمٍ[1] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ**».

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ (١٩١٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ[١]: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢]: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**».(*).

إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَّا يُفَوِّتَ الْخَيْرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَتَّقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، وَأَنْ يَغْتَنِمَ شَبَابَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَأَنْ يَغْتَنِمَ صِحَّتَهُ قَبْلَ مَرَضِهِ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِتْيَانِ بِالطَّاعَاتِ الَّتِي رُبَّمَا احْتَاجَتْ جُهْدًا وَطَاقَةً، وَاحْتَاجَتْ جَلَدًا وَقُوَّةً؛ كَالصِّيَامِ، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَغْتَنِمَ شَبَابَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَأَنْ يَغْتَنِمَ صِحَّتَهُ قَبْلَ مَرَضِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي قَدْ يَمْرَضُ الْجَسَدُ، وَقَدْ تَنْفَقُ الرَّاحِلَةُ، وَقَدْ يَفْتَقِرُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ غِنًىٰ، وَقَدْ تُقْطَعُ السُّبُلُ.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعَبْدَ الْكَيِّسَ الْفَطِنَ الَّذِي يَعِي حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ، وَالَّذِي يَدْرِي قِيمَةَ الْوُجُودِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُبَادِرَ بِالطَّاعَاتِ وَبِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَهُوَ الْهُدَىٰ وَالْخَيْرُ.(*/٢).

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ (١٩١٤).

(٢) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٦٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٩١٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (مُحَاضَرَة ٢٦)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٧-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «عَاشُورَاءُ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالنَّوَاصِبِ!!» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣١هـ| ٢٥-١٢-٢٠٠٩م.

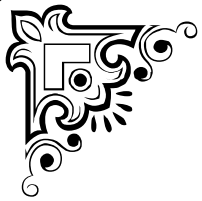

الصَّدَقَةُ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ

إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ وَمَشِيئَتِهِ النَّافِذَةِ فَاوَتَ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ، وَمِنْهُمُ الْفَقِيرُ، وَمِنْهُمُ الْمَسْتُورُ.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورىٰ: ٢٧].

وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالْفَقْرِ، وَلَوِ اسْتَغْنَىٰ لَأَفْسَدَهُ الْغِنَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦- ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فَابْتَلَىٰ اللهُ الْأَغْنِيَاءَ بِالْفُقَرَاءِ وَالْفُقَرَاءَ بِالْأَغْنِيَاءِ، وَابْتَلَىٰ الْعُلَمَاءَ بِالْجُهَّالِ وَالْجُهَّالَ بِالْعُلَمَاءِ، وَابْتَلَىٰ الْأَبْرَارَ بِالْفُجَّارِ وَالْفُجَّارَ بِالْأَبْرَارِ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وَأَهْلُ الْأَمْوَالِ لَا يُغْبَطُونَ مَا لَمْ يُسَلِّطُوا أَمْوَالَهُمْ فِي الْحَقِّ، وَيَبْذُلُوهَا فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**».

قَالَ الْحَافِظُ: «أَيْ: عَلَىٰ إِهْلَاكِهِ، أَيْ: إِنْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ»(١).

«**وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: «يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْبِطَ أَحَدًا عَلَىٰ نِعْمَةٍ وَيَتَمَنَّىٰ مِثْلَهَا؛ إِلَّا أَحَدَ هَذَيْنِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِمَا مِنْ النَّفْعِ الْعَامِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُتَعَدِّي إِلَىٰ الْخَلْقِ، فَهَذَا يَنْفَعُهُمْ بِعِلْمِهِ، وَهَذَا يَنْفَعُهُمْ بِمَالِهِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ مِنْ أَنْفَعِ النَّاسِ لِعِيَالِ اللهِ، وَلَا يَقُومُ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا بِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ، وَلَا يَعْمُرُ الْعَالَمُ إِلَّا بِهِمَا»(٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**»(٤). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» وَابْنُ حِبَّانَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَالْمَالُ لَا يُذَمُّ لِذَاتِهِ، وَلَكِنْ بِحَسَبِ اسْتِخْدَامِهِ، فَمَنْ أَخَذَهُ مِنْ حِلِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي مَحَلِّهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَىٰ صَالِحِ أَمْرِهِ، فَلَمْ يَغْتَرَّ بِهِ مَعَ كَثْرَتِهِ؛ فَهَذَا قَدْ سَلِمَ مِنْ تَبِعَتِهِ، وَأَمِنَ مِنْ شَرِّهِ.

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٣٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/ ٢٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان (٣٢١٠)؛ وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٧٥٦).

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ يُكْثِرَ اللهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ؛ فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ**».

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا»(١). الْحَدِيثَ. وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: الدُّعَاءُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالدُّعَاءُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي الْخَيْرَ الْأُخْرَوِيَّ، وَأَنَّ فَضْلَ التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ»(٢).

انْتَهَىٰ كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ أَنَّ الْكَفَافَ أَسْلَمُ، وَالْقَنَاعَةَ أَهْدَىٰ وَأَقْوَمُ.

وَيَدُلُّ لِذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ**» ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّىٰ غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ.

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ.. فَضْلُهَا وَأَحْكَامُهَا» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَا لَا تَعْرِفُهُ عَنْ فَضْلِ الصَّدَقَةِ)، الْأَحَدُ ١٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤١هـ| ٧-٦-٢٠٢٠م.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الصَّدَقَةَ مُسْتَحَبَّةٌ، وَتُشْرَعُ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ لِإِطْلَاقِ الْحَثِّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِلتَّرْغِيبِ فِيهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].(*).

وَأَعْطَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ شِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَهْلِ قَرَابَتِهِ، وَالْيَتَامَىٰ الَّذِينَ تُوُفِّيَ آبَاؤُهُمْ وَلَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ، وَالْمَسَاكِينَ الَّذِينَ يَدُلُّ ظَاهِرُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ ذَوُو حَاجَةٍ، وَالْمُسَافِرَ الْمُنْقَطِعَ عَنْ أَهْلِهِ، وَالطَّالِبِينَ الْمُسْتَطْعِمِينَ، وَأَعْطَىٰ الْمَالَ فِي مُعَاوَنَةِ الْمُكَاتَبِينَ؛ حَتَّىٰ يَفُكُّوا رِقَابَهُمْ، أَوْ فِي فَكِّ الْأَسْرَىٰ مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ بِفِدَائِهِمْ.(*/٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ**»، ذَكَرَ مِنْهُمْ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**»(٣).

وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الصَّدَقَةُ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُ الْمُتَصَدِّقِ، غَيْرَ مُمْتَنٍّ بِهَا عَلَىٰ الْمُحْتَاجِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَنْظُومَةِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» - رُكْنُ الزَّكَاةِ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ١٧٧].

(٣) «صحيح البخاري» (٦٦٠) ومواضع، و«صحيح مسلم» (١٠٣١).

وَالصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَىٰ الْأَبْعَدِينَ؛ فَقَدْ أَوْصَىٰ اللهُ بِالْأَقَارِبِ، وَجَعَلَ لَهُمْ حَقًّا عَلَىٰ قَرِيبِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**». رَوَاهُ سَلْمَانُ الضَّبِّيُّ رضي الله عنه، وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ(١)، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»(٢).(*).

وَفَضَائِلُ الصَّدَقَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَهَلْ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ الْمُسْلِمِ أَنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ؟!!

نَعَمْ، إِنَّ الْأَمْرَ لَكَذَلِكَ..

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٥٨)، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، من حديث: سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه، وحسنه بشواهده الألباني في «الإرواء» (رقم ٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم في (١٠٠٠)، من حديث: زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ مَنْظُومَةِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» - رُكْنُ الزَّكَاةِ.

وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسُمِّيَتْ صَدَقَةً؛ لِأَنَّهَا دَلِيلٌ لِتَصْدِيقِ صَاحِبِهَا، وَصِحَّةِ إِيمَانِهِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ»(٢).

وَتَذَكَّرْ -أَيُّهَا الْمُتَصَدِّقُ- أَنَّ أَوَّلَ مُسْتَفِيدٍ مِنْ صَدَقَتِكَ هُوَ أَنْتَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وَهَذَا وَحْدَهُ كَافٍ فِي كَوْنِ الْمُتَصَدِّقِ يَبْحَثُ عَنِ الْفَقِيرِ بِنَفْسِهِ، قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَمْ يَرَ نَفْسَهُ إِلَىٰ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَىٰ صَدَقَتِهِ؛ فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ، وَضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ دَقِيقِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ الْعَبْدِ الَّتِي لَا يَكَادُ يُفْطَنُ لَهَا: أَنَّهُ يُغْلِقُ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ إِلَيْهِ مَنْ يَطْرُقُ عَلَيْهِ الْبَابَ يَسْأَلُهُ شَيْئًا مِنَ الْقُوتِ؛ لِيُعَرِّفَهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

(٢) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٧/ ٤٨).

(٣) «عدة الصابرين» (ص١٣٦).

وَوُجُودُ مَنْ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ مِنَ الْمَسَاكِينِ مَنٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ، وَفُرْصَةٌ يَنْبَغِي أَلَّا تُفَوَّتَ، وَقَدْ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ اغْتِنَامِ الْفُرَصِ، وَحَذَّرَ مِنْ تَفْوِيتِهَا، فَقَالَ ﷺ: «**تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا!!**»(١). رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَاحْذَرْ -أَيُّهَا الْمُتَصَدِّقُ- أَنْ تَسْتَكْثِرَ مَا أَعْطَيْتَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، فَالْمِنَّةُ للهِ وَحْدَهُ؛ حَيْثُ حَرَّكَ قَلْبَكَ لِلْبَذْلِ.

مِنْ فَضَائِلِ الصَّدَقَةِ: مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي.**

قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!!

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟

يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي.

قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!!

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١) من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي.

قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!!

قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»(١).

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّدَقَةِ: أَنَّ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ تُكَمِّلُ زَكَاةَ الْفَرِيضَةِ، وَتَجْبُرُ نَقْصَهَا؛ لِحَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكَمِّلُونَ بِهِ فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَىٰ حَسَبِ ذَلِكَ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَه، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطَايَا وَتُكَفِّرُهَا؛ لِحَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٤٩، ١٦٩٤٩)، وأبو داود (٨٦٤)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٤٤، ٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهم من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢٠)، ولهذا اللفظ شواهد أخرىٰ من حديث جابر بن عبد الله وكعب بن عجرة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ: أَنْ يَأْتِيَ مِنْ أَجْلِهِمْ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ أَوِ الْعَمَلِ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْ كَبِيرَةً، فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي وَلَدِهِ فَرْطُ مَحَبَّتِهِمْ، وَشُغْلُهُ بِهِمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرِ، أَوِ التَّوَغُّلُ فِي الِاكْتِسَابِ مِنْ أَجْلِهِمْ مِنْ غَيْرِ اكْتِرَاثٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ»(٢).

وَالصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَىٰ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتَاهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالصَّدَقَةُ تُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥)، مسلم (١٤٤).

(٢) «عمدة القاري» (٥/ ١٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ وَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهَا أَعْطَتْ تَمْرَةً وَاحِدَةً، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ أَنَّهَا أَطْعَمَتْهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: «وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ مُرَادَهَا بِقَوْلِهَا فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ: «فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ» أَيْ: أَخُصُّهَا بِهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَهَا فِي أَوَّلِ الْحَالِ سِوَىٰ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَتْهَا، ثُمَّ وَجَدَتْ ثِنْتَيْنِ، وَيُحْتَمَلُ تَعَدُّدُ الْقِصَّةِ»(٢).

وَالصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ حَرِّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**، أَوْ قَالَ: **يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ: «**إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ**».

قَالَ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/ ٥٦٨، ١٧٣٣٢)، وابن حبان (٣٣١٠)، وابن خزيمة (٢٤٣) وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٢).

قَالَ يَزِيدُ -وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ-: «وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ رَاوِيَ الْحَدِيثِ عَنْ عُقْبَةَ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ؛ وَلَوْ كَعْكَةً، أَوْ بَصَلَةً، أَوْ كَذَا».

وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَتَخَيَّرُ الْعُبَّادَ وَهُمْ سُجُودٌ، فَيَأْتِيهِمْ بِالصُّرَّةِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَفِيهَا الدَّرَاهِمُ، فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ؛ بِحَيْثُ يُحِسُّونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِهِ هُوَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَدِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَا أَسْعَدَ الْمُتَصَدِّقَ فِي يَوْمٍ تَدْنُو فِيهِ الشَّمْسُ قَدْرَ مِيلٍ مِنْ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ؛ حَيْثُ يَكُونُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ.

فَصَدَقَةُ السِّرِّ مِنْ أَسْبَابِ إِظْلَالِ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ؛ لِحَدِيثِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!!**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَىٰ سَعْدٌ رضي الله عنه، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَىٰ مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**».

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ: أَنَّ الضُّعَفَاءَ أَشَدُّ إِخْلَاصًا فِي الدُّعَاءِ، وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ؛ لِخَلَاءِ قُلُوبِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَخَوَانِ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَى الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

الصَّدَقَةُ تُعَوِّدُ الْمُسْلِمَ عَلَىٰ صِفَتَيِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَعَلَىٰ الْعَطْفِ عَلَىٰ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَعَلَىٰ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَالصَّدَقَةُ تَحْفَظُ النَّفْسَ عَنِ الشُّحِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وَالصَّدَقَةُ بِالْمَالِ مَعَ حُبِّهِ سَبَبٌ فِي سَلَامَةِ الْمَرْءِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، قَالَ -تَعَالَىٰ- وَاصِفًا حَالَ الْأَبْرَارِ وَمَا لَهُمْ حِينَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٨-١١].

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢) وغيرهما؛ وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦٩).

وَلِلصَّدَقَةِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي شَرْحِ الصَّدْرِ وَرَاحَةِ الْقَلْبِ؛ فَالْكَرِيمُ الْمُحْسِنُ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا.

وَلِهَذَا فَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي ذِرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَرَفْعِ الذِّكْرِ، وَوَضْعِ الْوِزْرِ، وَانْضَافَ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَخَصَائِصِهَا، وَتَوَابِعِهَا، وَشَرْحِ صَدْرِهِ حِسًّا، وَإِخْرَاجِ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالصَّدَقَةُ تَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَتُفْرِحُ النَّفْسَ، وَتَدْفَعُ عَنِ الْعَبْدِ مِنَ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامِ شَيْئًا كَثِيرًا؛ فَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِعْمَةٍ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ، وَكَمْ دَفَعَتْ مِنْ نِقَمٍ وَمَكَارِهَ وَأَسْقَامٍ، وَكَمْ خَفَّفَتِ الْآلَامَ، وَكَمْ أَزَالَتْ مِنْ عَدَاوَاتٍ، وَجَلَبَتْ مِنْ مَوَدَّةٍ وَصَدَاقَاتٍ، وَكَمْ تَسَبَّبَتْ لِأَدْعِيَةٍ مُسْتَجَابَاتٍ مِنْ قُلُوبٍ صَادِقَاتٍ، وَهِيَ -أَيْضًا- تُنَمِّي الْمَالَ الْمُخْرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهَا تَقِيهِ الْآفَاتِ، وَتُحِلُّ فِيهِ الْبَرَكَةَ الْإِلَهِيَّةَ»(١).

لَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْعَطَاءِ بِطِيبِ نَفْسٍ، وَيُخْرِجُ الْمَالَ مِنْ قَلْبِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ يَدِهِ.

بِالصَّدَقَةِ تَنْدَفِعُ الْآفَاتُ، وَتَحُلُّ الْبَرَكَاتُ؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ؛ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ؛ بَلْ

(١) «الرياض الناضرة» (ص١٩).

مِنْ كَافِرٍ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ»(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ -أَيْضًا-: «فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ -تَعَالَىٰ- بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ خَلْقِهِ»(٢).

وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللهُ: «وَكُلُّ طَبِيبٍ لَا يُدَاوِي الْعَلِيلَ بِتَفَقُّدِ قَلْبِهِ وَصَلَاحِهِ، وَتَقْوِيَةِ رُوحِهِ وَقُوَاهُ بِالصَّدَقَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ، بَلْ هُوَ مُتَطَبِّبٌ قَاصِرٌ»(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الصَّدَقَةِ فِي انْشِرَاحِ النُّفُوسِ، وَلَوْ طَبَّقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنَ الضَّائِقَاتِ النَّفْسِيَّةِ، فَبَادَرُوا إِلَىٰ الصَّدَقَاتِ؛ لَزَالَ عَنْهُمْ -بِإِذْنِ اللهِ- مَا يَشْتَكُونَ».

وَالصَّدَقَةُ تَجْلِبُ الْبَرَكَةَ وَالزِّيَادَةَ وَالْخَلَفَ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٣١).

(٢) «الداء والدواء» (ص١٨).

(٣) «الطب النبوي» (ص١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

وَقَالَ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟!! فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**».

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «**يَمِينُ اللهِ مَلْأَىٰ**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّدَقَةِ، وَفَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَفَضْلِ أَكْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ كَسْبِهِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَىٰ الْعِيَالِ.. أَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ يُبَارِكُ اللهُ لَهُ فِي مَالِهِ، وَيَحْصُلُ لَهُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ** -وَالْحَرَّةُ: أَرْضٌ مُلَبَّسَةٌ بِحِجَارَةٍ سَوْدَاءَ-، **فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ** -وَالشَّرْجَةُ: هِيَ مَسَايِلُ الْمَاءِ فِي الْحِرَارِ- **قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟**

قَالَ: فُلَانٌ، لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟

قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ؛ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟!!

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

وَفِي لَفْظٍ: «**وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ، وَالسَّائِلِينَ، وَابْنِ السَّبِيلِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالصَّدَقَةُ تُلْحِقُ الْمُسْلِمَ بِالْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ؛ لِحَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَكَمَا أَنَّ الْمُسْلِمَ يُحِبُّ أَنْ يُبْذَلَ لَهُ الْمَالُ الَّذِي يَسُدُّ بِهِ حَاجَتَهُ؛ فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَحْصُلَ لِأَخِيهِ الْمُحْتَاجِ مِثْلُ ذَلِكَ؛ فَيَكُونُ بِذَلِكَ كَامِلَ الْإِيمَانِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) البخاري (١٣) دون قوله: «أو قال لجاره»، ومسلم (٤٥).

وَالصَّدَقَةُ يَحْصُلُ بِهَا قَضَاءُ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجُ الْكُرُبَاتِ، وَالسَّتْرُ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ قَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ، وَتَفْرِيجِ كُرُبَاتِ الْمَكْرُوبِينِ، وَالسَّتْرِ عَلَىٰ الْمُعْسِرِينَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَفِيهِ: «**وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْعَبْدِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «**صحيح مسلم**»: ٤/ ٢٠٧٤، رقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٥/ ٩٧، رقم (٢٤٤٢)، وفي: ١٢/ ٣٢٣، رقم (٦٩٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٩٩٦، رقم (٢٥٨٠).

والحديث أيضا في «**صحيح مسلم**»: ٤/ ١٩٨٦، رقم (٢٥٦٤)، من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٦٠١٣، و٧٣٧٦)، ومُسْلِم فِي «صَحِيحِهِ» (٢٣١٩).

بِالصَّدَقَةِ تُحَطُّ السَّيِّئَاتُ، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَقَامِ التَّخْلِيَةِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تُزَكِّيهِم﴾: إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَقَامِ التَّحْلِيَةِ بِالْفَضَائِلِ وَالْحَسَنَاتِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تُزَكِّيهِم﴾: تَرْفَعُهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَىٰ مَنَازِلِ الْمُخْلِصِينَ».

وَبِالصَّدَقَةِ يَنْدَفِعُ عَذَابُ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِذَا انْعَقَدَتْ أَسْبَابُهُ، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا**»(١).

وَبِالصَّدَقَةِ نَجَاةُ الْأُمَّةِ مِنَ الْهَلَاكِ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٤، و٥٢٢١، و٦٦٣١)، ومسلم (٩٠١)، من طريق: هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،...الحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

فَالصَّدَقَةُ -إِذَنْ- حِصْنٌ حَصِينٌ، وَسَدٌّ مَنِيعٌ، وَحِمًى مَتِينٌ لِلْمُجْتَمَعِ مِنْ جَرَائِمِ السَّطْوِ وَالْإِجْرَامِ، وَقَدْ رَبَطَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بَيْنَ عَدَمِ الْإِنْفَاقِ وَالتَّهْلُكَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وَالشَّحِيحُ الْمُمْسِكُ مُعَاقَبٌ بِإِتْلَافِ مَالِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١). رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

فَالشَّحِيحُ الْمُمْسِكُ مُعَاقَبٌ بِإِتْلَافِ مَالِهِ: «**اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ -تَعَالَى- عَنْهُمْ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ١٧-٢٤].

فَهُمْ عَزَمُوا وَتَوَاطَئُوا عَلَىٰ حِرْمَانِ الْفُقَرَاءِ؛ فَعَاجَلَتْهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الصَّبَاحِ.

وَالْحِرْصُ وَالشُّحُّ مِنْ أَسْبَابِ سَلْبِ النِّعَمِ، وَإِحْلَالِ النِّقَمِ، وَتَأَمَّلْ فِي قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، بَدَا اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

قَالَ الْحَافِظُ: «قَوْلُهُ: «**بَدَا للهِ**» -بِتَخْفِيفِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ بِغَيْرِ هَمْزٍ- أَيْ: سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ، فَأَرَادَ إِظْهَارَهُ، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ خَافِيًا -سُبْحَانَهُ-، فَذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللهِ جَلَّوَعَلَا».

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «**«بَدَا للهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»** أَيْ: قَضَىٰ بِذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَىٰ الْبَدَاءِ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ الْقَضَاءَ سَابِقٌ، وَالْبَدَاءُ: اسْتِصْوَابُ شَيْءٍ عُلِمَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يُعْلَمْ، وَذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ ﷻ مُحَالٌ».

«فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْإِبِلُ -أَوْ قَالَ: **الْبَقَرُ** -شَكَّ إِسْحَاقُ-؛ **إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوِ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ.**

قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ.

فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا.

قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ.

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا.

قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟!!

فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

وَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَىٰ هَذَا.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

وَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَبِالصَّدَقَةِ يَسْتَجِنُّ الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، وَيَتَّقِي سَخَطَ الْجَبَّارِ؛ فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟

فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ.

ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟

فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤).

فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ فَإِنَّ الْقَلِيلَ بِالْقَلِيلِ يَكْثُرُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**».

قَالُوا: كَيْفَ؟!!

قَالَ: «**كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»(٢). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَالصَّدَقَةُ سَبَبٌ فِي نَجَاةِ الْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَفَكَاكِهِ مِنْهُ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ قَالَ لَهُنَّ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣).

(٢) أخرجه النسائي (٢٥٢٧)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٤٠٥، رقم (٣٠٤) و ٣/ ٣٢٥، رقم (١٤٦٢)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ المُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**».

فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**،...» الحديث.

=

وَالصَّدَقَةُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ عَوْنِ اللهِ لِلْعَبْدِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَتَيْسِيرِهَا لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ هَذِهِ الْغَايَةِ؛ خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الصَّوَارِفُ عَنِ الطَّاعَاتِ، فَمَنْ أَرَادَ تَيْسِيرَ الْعِبَادَةِ فَعَلَيْهِ بِالصَّدَقَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَإِنَّ أَعْظَمَ الْعَوْنِ عَوْنُ اللهِ عَبْدَهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ، فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ اللهِ الْعَوْنَ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]».

=

والحديث بنحوه أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٦٠٣، رقم (٨٨٥) ، من رواية: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، بلفظ: «**تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ، سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»... الحديث، وأصله في «الصحيحين» مختصرا.

ورد الحديث بلفظ: «...، اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» من حديث ابن عباس في «الصحيحين» وسيأتي، ومن حديث: عمران في «صحيح البخاري».

(١) تقدم تخريجه.

وَالصَّدَقَةُ سَبَبٌ فِي اسْتِمَالَةِ قُلُوبِ النَّاسِ، وَمَحَبَّتِهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ، وَتِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

فَابْذُلِ الْمَالَ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ، وَكُنْ سَخِيًّا بِهِ؛ فَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَمِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ أَهْلِهِ، وَقَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ خَلْقِهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «جُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلَىٰ عُبَّادِهِ، وَبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إِلَىٰ أَوْلَادِهِ».

وَقِيلَ: «مَنْ عَظُمَتْ مَرَافِقُهُ عَظَّمَهُ مُرَافِقُهُ».

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ=وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ

تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي=أَرَىٰ كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ

وَالصَّدَقَةُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي يُرَبِّيهِ اللهُ -تَعَالَىٰ- وَيُضَاعِفُهُ لِصَاحِبِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**»(١). وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «**حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ..**». الْحَدِيثَ.

«**بِعَدْلِ تَمْرَةٍ**» أي: **بِقِيمَتِهَا**.

«**فَلُوَّهُ**» **أَيْ: مُهْرَهُ**.

«**فَصِيلَهُ**»: **الْفَصِيلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فُصِلَ عَنْ رَضَاعِ أُمِّهِ**.

الْمُتَصَدِّقُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- يَفُوزُ بِثَنَاءِ اللهِ عَلَيْهِ، وَمَا وَعَدَ بِهِ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَيَفُوزُ بِانْتِفَاءِ الْخَوْفِ وَالْحَزَنِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٤).

وَالْمُتَصَدِّقُ يَحْصُلُ عَلَىٰ مُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ عَلَىٰ حَسَبِ إِخْلَاصِهِ للهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وَلِحَدِيثَ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالصَّدَقَةُ تَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ كَالْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ، يَرْحَمُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، وَيَعْطِفُ الْقَادِرُ عَلَىٰ الْعَاجِزِ، وَيُحْسِنُ الْغَنِيُّ إِلَىٰ الْمُعْسِرِ، فَيَشْعُرُ صَاحِبُ الْمَالِ بِالرَّغْبَةِ فِي الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَبَذْلُ الْمَالِ خَيْرٌ لِلْمُتَصَدِّقِ إِذَا كَانَ زَائِدًا عَنْ كِفَايَتِهِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ** -وَهُوَ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِهِ وَحَاجَةِ عِيَالِهِ- **خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٦).

وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تُنْجِي مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ؛ لِحَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»(١).

وَلِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ**»(٢). أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فَالصَّدَقَةُ دَلَّتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ فَضْلِهَا وَعَظِيمِ قَدْرِهَا فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أَنْ يَقِينَا شُحَّ أَنْفُسِنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مُبَارَكًا مُوَسَّعًا فِيهِ، لَا حُرْمَةَ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ، إِنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.(*).

❀❀❀

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في «**المعجم الكبير**»: ٨/ ٣١٢، رقم (٨٠١٤)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ.. فَضْلُهَا وَأَحْكَامُهَا» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَا لَا تَعْرِفُهُ عَنْ فَضْلِ الصَّدَقَةِ)، الْأَحَدُ ١٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤١هـ| ٧-٦-٢٠٢٠م.

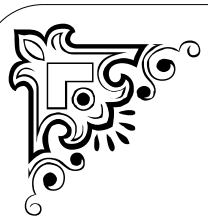

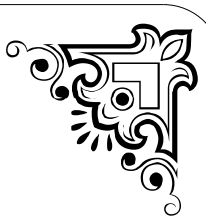

الْمُسَارَعَةُ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ نَدَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْمُسَارَعَةِ، وَتَرْكِ التَّبَاطُؤِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالْمُسَابَقَةِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْخَيْرَاتِ؛ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ جَزَاءَ ذَلِكَ وَثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ.

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦١] يَعْنِي: يُسَابِقُونَ مَنْ سَابَقَهُمْ إِلَيْهَا، فَهُمْ يَتَسَابَقُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ، وَكُلٌّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ سَابِقًا.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُخْبِرُنَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُسَارِعَ إِلَىٰ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-.

﴿ ۞ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: سَارِعُوا إِلَىٰ مَا يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ، وَإِلَىٰ الطَّاعَةِ، أَوْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، أَوِ الْإِخْلَاصِ، أَوِ التَّوْبَةِ مِنَ الرِّبَا، أَوِ الثَّبَاتِ فِي الْقِتَالِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهِيَ آيَةٌ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ مَا ذُكِرَ.

لَقَدْ حَضَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرِ، وَأَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ؛ فَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿ ۞ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾.

فأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْمَغْفِرَةِ، يَعْنِي: بِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ، وَهِيَ الطَّاعَةُ.

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

وَذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا كَانَ مِنْ زَكَرِيَّا وَآلِهِ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩- ٩٠].

وذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا بِالْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ التَّوَانِيَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ لَيْسَ بِالْخَيْرِ، وَأَنَّ الْإِسْرَاعَ

فِي طَلَبِ الْخَيْرِ هُوَ الْخَيْرُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُسَارِعًا فِي تَحْصِيلِ الْمَغْفِرَةِ بِأَسْبَابِهَا وَشُرُوطِهَا؛ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْمُقَصِّرِينَ.

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَىٰ الْخَيْرِ، وَمَا أَمَرَ ﷺ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ الْآتِينَ بِهِ وَالْمُسْرِعِينَ إِلَىٰ تَحْصِيلِهِ، وَمَا نَهَىٰ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الشَّرِّ إِلَّا وَكَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ ﷺ.

وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم أَكْثَرُ النَّاسِ بَذْلًا بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا -يَعْنِي: عِنْدِي؛ عِنْدَ عُمَرَ-، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا.

يَتَسَابَقُونَ فِي الْخَيْرِ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْبِرِّ، وَكُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ سَابِقًا لِأَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَا حَسَدٍ؛ لِأَنَّ طَرِيقَ الْآخِرَةِ يَسَعُ الْخَلْقَ جَمِيعًا، وَأَمَّا طَرِيقُ الدُّنْيَا؛ فَلَا يَسَعُ مِنَ الْمُتَنَافِسِينَ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ نَعِيمٌ مُقِيمٌ، وَعَطَاءٌ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ كَرِيمٍ، وَهَذَا مُتَّسِعٌ لِلْعَامَّةِ.

وَأَمَّا طَرِيقُ الدُّنْيَا؛ فَالتَّنَافُسُ يَكُونُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ تَحْصِيلِ مَالٍ بِعَيْنِهِ، فَإِذَا تَنَافَسَ النَّاسُ فِي تَحْصِيلِهِ؛ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِوَاحِدٍ؛ عَلَىٰ مَنْصِبٍ بِذَاتِهِ، لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِوَاحِدٍ، فَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْكَثِيرُ، فَلَا يُحَصِّلُهُ إِلَّا وَاحِدٌ؛ وَحِينَئِذٍ يَتَعَادَوْنَ، وَيَتَبَاغَضُونَ، وَيَتَحَارَبُونَ، وَيَتَقَاتَلُونَ، وَأَمَّا طَرِيقُ الْآخِرَةِ؛ فَوَاسِعٌ يَتَّسِعُ لِلْجَمِيعِ.

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضْلًا عَظِيمًا، وَعُمَرُ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ عِنْدَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالصَّدَقَةِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ مَالًا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: «الْيَوْمَ

أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا! قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي»، وَظَنَّ عُمَرُ أَنَّهُ صَنَعَ صَنِيعًا عَظِيمًا، وَأَتَىٰ بِنِصْفِ الْمَالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**».

قُلْتُ: مِثْلَهُ، أَوْ مِثْلُهُ، يَعْنِي: أَبْقَيْتُ مِثْلَهُ، أَوْ: مِثْلُهُ أَبْقَيْتُهُ لِأَهْلِي.

فَقُلْتُ: مِثْلُهُ، يَعْنِي: مِثْلُ الَّذِي جِئْتُكَ بِهِ يَا رَسُولَ اللهِ أَبْقَيْتُهُ لِأَهْلِي، أَنَا قَسَمْتُ الْمَالَ نِصْفَيْنِ، فَهَذَا نِصْفُهُ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَيْنَ يَدَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا النِّصْفُ الْآخَرُ فَهُوَ لِلْأَوْلَادِ وَلِلْأَهْلِ.

وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، لَمْ يَسْتَبْقِ شَيْئًا رضي الله عنه، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا.

هَذَا الرَّجُلُ لَا يُسَابَقُ، أَبُو بَكْرٍ أَقَرَّ عُمَرُ رضي الله عنه بِسَبْقِهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ بَعْدَهَا أَبَدًا رضي الله عنه(١).(*).

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود: (٢/ ١٢٩، رقم ١٦٧٨) ، والترمذي: (٥/ ٦١٤، رقم ٣٦٧٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وكذا حسن إسناده الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٥/ ٣٦٥، رقم ١٤٧٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

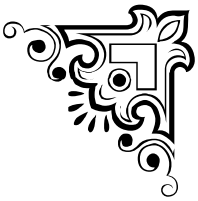

ثَمَرَاتُ الِاجْتِهَادِ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْمُسَارَعَةَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ﷻ، وَمَغْضَبَةٌ لِلشَّيْطَانِ.

*** وَالْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ؛ حَيْثُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ(*)، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-:** ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ...﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ لِلطَّعَامِ وَقِلَّتِهِ، وَتَعَلُّقِ شَهْوَتِهِمْ بِهِ، وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ.. يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْكَسْبِ، وَصَغِيرًا لَا أَبَ لَهُ يَكْتَسِبُ لَهُ وَيُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَأَسِيرًا بِيَدِ الْأَعْدَاءِ، أَوْ مَسْجُونًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرِهِمْ.

يَقُولُونَ لِمَنْ أَطْعَمُوهُمْ: مَا نُطْعِمُكُمْ إِلَّا لِأَجْلِ وَجْهِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَرَجَاءِ ثَوَابِهِ، لَا نُرِيدُ مُكَافَأَةً وَلَا طَلَبَ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ مِنْكُمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا شَدِيدًا تَعْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ هَوْلِهِ وَشِدَّتِهِ، كَرِيهًا تَتَقَطَّبُ فِيهِ الْجِبَاهُ مِنْ فَظَاعَةِ أَمْرِهِ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.

فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَخَافُونَهُ، وَأَعْطَاهُمْ بَدَلَ عُبُوسِ الْكُفَّارِ وَحُزْنِهِمْ حُسْنًا فِي وُجُوهِهِمْ وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ جَنَّةً عَظِيمَةً، وَأَلْبَسَهُمْ حَرِيرًا نَاعِمًا مِنَ السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا.

قَالَ: «**مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: «**مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ: «**مَنْ عَادَ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإنسان: ٨-١٢].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ قَطُّ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١). (*).

* **وَالسَّبْقُ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**(*/٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ! ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا فِي صَلَاتِكُمْ، وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاكْسَبُوا بِإِرَادَاتِكُمْ كُلَّ عَمَلٍ قَلْبِيٍّ أَوْ جَسَدِيٍّ يُحَقِّقُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا بَاقِيًا، وَسَعَادَةً خَالِدَةً، وَثَوَابًا حَسَنًا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ شَاقًّا، أَوْ مُضْنِيًا، أَوْ مُؤْلِمًا؛ رَغْبَةً مِنَّا فِي أَنْ تَسْعَدُوا وَتَفُوزُوا بِالْجَنَّةِ.(*/٣).

* **وَالْمُبَادَرَةُ إِلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ تُوجِبُ نَوْعًا مِنَ التَّنَافُسِ الْحَمِيدِ الَّذِي يَرْقَىٰ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي مُجْتَمَعِهِمْ.**

* **وَالسَّابِقُونَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ يُدْرِكُونَ مَقَاصِدَهُمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ خَائِبِينَ أَبَدًا،** وَيَدْخُلُونَ إِذَا مَا سَابَقُوا إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، الْمُسَارَعَةُ إِلَىٰ صَلَاةِ

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٧١٣، رقم ١٠٢٨) و(٤/ ١٨٥٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ.. كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٣- ٨- ٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

(*/ ٣) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الحج: ٧٧].

الْجُمُعَةِ -عَلَىٰ سَبِيلِ الْمِثَالِ-، وَالذَّهَابُ إِلَيْهَا فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ يُعَظِّمُ الْأَجْرَ، وَيُجْزِلُ الثَّوَابَ.

* **وَالْمُبَادَرَةُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْفِتَنِ**؛ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَكَذَلِكَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْغَلُ الْإِنْسَانَ وَتُلْهِيهِ؛ مِثْلَ: الْمَرَضِ، وَالْفَقْرِ، وَالْغِنَىٰ الْمُطْغِي، أَوِ الْهَرَمِ -يَعْنِي: بُلُوغَ أَقْصَىٰ الْعُمُرِ-.

وَالْمُبَادَرَةُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَعَدَمُ التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْأُولَىٰ يَجْعَلُ صَاحِبَهَا فِي فَضِيلَةٍ يَسْبِقُ بِهَا الْمُتَخَلِّفِينَ فِي أَبْعَدَ مِمَّا هُوَ بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ.(*).

* **مِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الِاجْتِهَادِ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ: شَرْحُ الصَّدْرِ؛ فَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ**: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ.

فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا وَغَمًّا.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَارِبًا المَثَلَ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢)-: «**كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا هَمَّ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

(٢) «**صحيح البخاري**»: ٣/ ٣٠٥، رقم (١٤٤٣)، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٧٠٨ و ٧٠٩، رقم (١٠٢١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ؛ حَتَّىٰ يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِيَ أَثَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ». فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ»[1].(*).

فَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُسَارَعَةَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالْمُسَابَقَةَ فِي تَحْصِيلِ الْحَسَنَاتِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَىٰ الْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَىٰ الرُّشْدِ، وَأَنْ يُخْلِصَ نِيَّاتِنَا وَقَصْدَنَا، وَأَنْ يُحَسِّنَ أَقْوَالَنَا وَأَعْمَالَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

---

(١) «**زاد المعاد**»: ٢/ ٢٤ و ٢٥.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

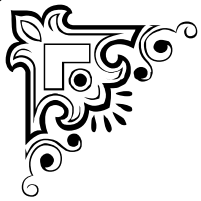

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

الْعَاقِلُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ..... ٤

اتِّسَاعُ أَبْوَابِ الْخَيْرِ فِي الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ..... ٦

الصَّدَقَةُ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ..... ٢٣

الْمُسَارَعَةُ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ..... ٥١

ثَمَرَاتُ الِاجْتِهَادِ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ..... ٥٥